الفصل الأول

قدوم الغرب وحضارته إلى اليابان

وصول البندقية إلى اليابان

ارتبطت محاولات الأوربيين للتعرف إلى اليابان والنزول إلى أراضيها ارتباطا وثيقا بحركة الاستكشافات الجغرافية، وكذلك بحركة التبشير بالمسيحية. فقد كتب الرحالة الإيطالى ماركو باولو (١٢٥٤م – ١٣٢٤م) فى كتابه «تسجيلات لتجارب فى الشرق» والذى سطره بعد رحلته البحرية فى نهاية القرن الثالث عشر عن اليابان إنها جزيرة الذهب متشوقا للذهاب إليها مثل الكثير من الأوربيين الذين كانوا يعشقون الشرق، ولكن الذى حقق هذا الحلم هم البرتغاليون والإسبان فيما بعد فى منتصف القرن السادس عشر.

وقد كان لنشاط الاكتشافات الجغرافية ظروفه التاريخية، فبعد أن قهر العثمانيون الدولة البيزنطية فى نهاية القرن الخامس عشر وتحكمها مع الدولة المملوكية التى كانت قائمة فى مصر فى الطرق المؤدية إلى الهند وشرق آسيا، حيث أسواق البهارات والفلفل الأسود اللازم لتخزين اللحوم، وغير ذلك من منتجات الشرق التى كان لا يستغنى عنها الغرب، بل وفرض جمارك وضرائب باهظة على هذه المنتجات مما جعل أسعارها فى أوربا تصل إلى عنان السماء، وهكذا كان لهذا التحكم التركى والمملوكى أثره فى محاولات الأوربيين بأن يكتشفوا طرق بديلة لتلك التى تسيطر عليها الدول الإسلامية القوية المناوئة لأوربا المسيحية آنذاك.

وإلى جانب ذلك كان لقيام النهضة فى أوربا والتى اعتمدت على العقول البشرية المتحررة من ظلام العصور الوسطى أثره الكبير فى تقدم حركة الاكتشافات الجغرافية والبحرية، خاصة أن هذه النهضة جاءت باكتشافات علمية خطيرة، وتطورت التقنية الملاحية وصناعة السفن، هذا إلى جانب تقدم واضح فى علم الجغرافيا، وكل هذه الظروف والإمكانات مجتمعة أدت إلى زيادة عدد المغامرات البحرية من أجل اكتشاف طرق ملاحية جديدة، كذلك لا نستطيع أن نغفل أن هذه الاكتشافات ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتاجين البرتغالى والإسبانى، فقد أصبحت هذه الاكتشافات تمثل بالنسبة لهما طموحات سياسية واستعمارية واقتصادية فى ذات الوقت، ولذلك قاما هذين التاجين بتعضيد هذه الحركة الاستكشافية والتى واكبها أيضا حركة تبشير قوية بالمسيحية استمدت قوتها هى الأخرى من ارتباطها بالسلطات البرتغالية والإسبانية.

فى هذه الأثناء كانت اليابان خارجة لتوها من هوجة أونين Ōnin Noran (١٤٦٧م – ١٤٧٧م) والتى أحدثت تغييرات سياسية واجتماعية كبيرة فى اليابان، وفى عام ١٤٨٧م استطاع الملاح البرتغالى بارثليميو دياز الوصول إلى أقصى جنوب قارة أفريقيا مكتشفًا بذلك لأول مرة فى التاريخ رأس الرجاء الصالح، والذى كان يطلق عليه فى البداية رأس العواصف نظرًا لخطورة المكان، ولكنه تحول إلى هذا الاسم الواعد بعد أن أدى اكتشافه إلى الوصول إلى المحيط الهندى وبالتالى إلى الهند نفسها وبلاد الشرق، حيث المنتجات التى تنشدها الدول الأوربية بعيدًا عن المرور بالطرق التى تتحكم فيها الدول الإسلامية كما أسلفنا القول، ثم استطاع بعد ذلك البرتغالى أيضًا فاسكو داجاما فى عام ١٤٩٨م استخدام هذا الاكتشاف العظيم من أجل الوصول بالفعل إلى ميناء

كلكتا بالهند. أما الإسبان فقد اتجهوا برحلاتهم البحرية الاستكشافية نحو الغرب. ففى عام ١٤٩٢م قامت الملكة الإسبانية إيزابيل بدعم المكتشف الإيطالى كولومبس الذى ذهب بدوره نحو الغرب، فقد كان متأثرا بحديث ماركو باولو من أنه يمكن الوصول إلى اليابان بالتقدم غربا من المحيط الأطلسى، وظل كولومبس على اعتقاده حتى مماته فى أن الأرض التى وصل إليها فى أمريكا ما هى إلا الهند، ولذلك سميت الجزر التى وصل إليها بجزر الهند الغربية وذلك برغم عبوره للمحيط الأطلسى ثلاث مرات، وبعد ذلك واصلت إسبانيا احتلالها لمختلف مناطق أمريكا اللاتينية، وفى عام ١٥١٩م تلقى الملاح البرتغالى الشهير ماجلان (١٤٨٠م - ١٥٢١م) الأمر من الملك الإسبانى كارلوس الأول بالقيام برحلة بحرية استكشافية، وبالفعل استطاع فى نفس العام الدوران حول أقصى جنوب قارة أمريكا ثم أبحر فى المحيط الهادى، وفى العام التالى (١٥٢٠م) اكتشف مضيق ماجلان ثم وصل فى عام ١٥٢١م إلى جزر الفلبين، ولكنه قتل على يد السكان البدائيين هناك، ثم استطاع تابعيه فى عام ١٥٢٢م أن يعبروا المحيط الهندى ثم العبور من رأس الرجاء الصالح حتى وصلوا إلى بلادهم محققين بذلك الدوران حول العالم كله وقامت بعد ذلك إسبانيا بتحطيم حضارتى المايا والإنكا فى القارة الجديدة وسلبوا الفضة والذهب الذين كانت تمتلكهما هذه البلاد البعيدة وأطلق على المكسيك اسم «نوفاهيسبانيا» أى إسبانيا الجديدة، وفى عام ١٥٧١م أسست إسبانيا مدينة مانيلا فى جزيرة لوسون الفلبينية، واستطاعت بذلك أن تصبح شريكة فى التجارة مع الشرق.

وقد بدأ ظهور البرتغاليين فى اليابان بقدوم سفينة صينية كانت تقلهم جرفها التيـ نحو جزيرة تانيجا شيما Tanega shima الواقعة فى

أقصى جنوب كيوشـو وذلك فى عام ١٥٤٣م وكان يبدو أن هذه السفينة هى سـفينة قراصنة التى كان من المعتاد آنذاك أن تقوم بنوع من التجارة الخاصة وليسـت تجارة حكومية. وكان البرتغاليون الذين على متن هذه السـفينة ثلاثة فقط من بين مائة راكب أقلتهم السـفينة الصينية، وكان بحوزتهم بندقيتين برتغاليتين ذاتا قوة شديدة لدرجة أدهشت حاكم جزيرة تانيجا شيما آنذاك وهو تانجا شيما توكى تاكا (١٥٢٨م - ١٥٧٩م)، وقد أصـر هذا الحاكم على الحصول علـى هاتين البندقيتين وذلك فى مقابل الفضـة اليابانيـة، وطبقًا للعادة اليابانية القديمة فى تقليد الأشـياء فقد طلـب توكى تـاكا من حداد بالمدينة يدعى ياسـاكا تقليد نفس البندقية وتم صنـع واحـدة مثلها تماما ثم أرسـلها إلى حاكم مقاطعة ساتسـوما (كاجوشيما). وحسب الرواية اليابانية فقد استطاع هذا الحداد أن يتعلم صنع البندقية من القبطان البرتغالى بعد أن أهداه ابنته لتكون جارية له، وبعد هذه الحادثة اعتاد البرتغاليون أن يأتوا كل عام إلى موانئ كيوشـو للتجارة مع اليابانيين ثم أتى بعد ذلك الإسبان منذ عام ١٥٨٤م.

على أية حال فقد انتقلت أخبار هذه البندقية من أقصى غرب اليابان إلى كل أنحـاء البلاد. وقام رسـول من معبد نيجرو فى كيوشـو بزيارة تانيجاشـيما وتسـلم إحدى هاتين البندقيتين، ثم قام بدوره بتسـليمها لتاجر فى مدينة ساكاى القريبة من أوساكا، ثم قام حداد من قرية كونى طومـو Kunitomo بصنع بندقيـة ثم أهداها ومعهـا طريقة الصنع إلى الشـوجون. ولم يلبث الشوجون أودا نوبوناجا أن كون فرقة من حاملى البنادق، ثم بسـط نفوذه على منطقة كونى طومـو التى تصنع البنادق، وكانت هذه الخطوة من أهم العناصر التى اعتمد نوبوناجا عليها من أجل توحيد اليابان والذى سوف يأتى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد.

التبشير بالمسيحية:

أولا قبل أن نذكر كيف بدأ التبشير بالمسيحية فى اليابان يحسن بنا أن نعرف الأجواء التى سادت العالم المسيحى فى بداية القرن السادس عشر، فقد حدثت فى هذه الفترة تغيرات كبيرة فى المسيحية فى أوربا. ففى عام ١٥١٧م بدأ المصلح الدينى الألمانى مارتن لوثر (١٤٨٣م – ١٥٤٦م) فى ثورته الإصلاحية. وذلك بنشر الديانة الجديدة أو البروتستانتية وبالفعل لاقت هذه التعاليم قبولا لا بأس به بين سكان المدن. وبالطبع لم تسكت الممالك القديمة فى كل من البرتغال وإسبانيا والتى تعد حامية للديانة القديمة أو الكاثولوكية على هذا، وبدأت تأخذ الخطوات لحمايتها.

ففى عام ١٥٣٤م أنشأ النبيل الإسبانى إيجناتيوس دى لويولا (١٤٩١م – ١٥٥٦م) مؤتمر اليسوعيين مع سبعة آخرين من أصحابه القسيسين وذلك لمواجهة ثورة مارتن لوثر الإصلاحية، وقد وجد (إيجناتيوس) وصحبه فى الاكتشافات الجديدة لبلاد آسيا وأمريكا الفرصة من أجل استعادة الكاثولوكية لنفوذها وسطوتها الخالية. وكذلك زيادة عدد معتنقيها فى هذه البلاد، ولكن كان على القساوسة الذين يقومون بهذا النشاط التبشيرى أن يتلقوا تدريبا شاقا ثم يُرسلون بعد ذلك إلى مختلف البلاد. وكان من بين مجموعة القساوسة المؤسسين لمؤتمر اليسوعيين القسيس فرانسيسكو زافيير (١٥٠٦م – ١٥٥٢م) الذى أخذ على عاتقه نشر الديانة المسيحية فى اليابان، وكان لهذا الاعتقاد سببا، فقد واصل زافيير نشاطه التبشيرى من الهند حتى ملقا، وفى ملقا قابل شابا يابانيا يدعى ياجيرو وهو ابن تاجر فى مقاطعة ساتسوما هرب من

اليابان بسبب حادث ما، فاستقل سفينة برتغالية ذهبت به إلى ملقا، وفى السفينة تعلق قلبه بالمسيحية وأراد مقابلة زافيير الذى ربما سمع عنه من البرتغاليين الذين كانوا على متن السفينة، وبالفعل تقابل مع زافيير وعندئذ شعر زافيير أن اليابان يمكن أن تكون مركزا للتبشير بالمسيحية. فقد وجد أن هذا الشاب اليابانى أكثر الشباب الشرقيين الذين قابلهم تأدبا وذكاءً وكذلك اجتهادا. وبعد أن تلقى ياجيرو دروسا وتدريبات شاقة من زافيير لمدة عامين انطلقا سويا مع اثنين آخرين من اليابانيين إلى كاجوشيما.

وهناك حادثة أخرى ربما أثرت فى فرانسيسكو زافيير جعلته يعتقد أن اليابان يمكن أن تكون مركزا للديانة المسيحية فى الشرق. ففى عام ١٥٤٥م أى بعد أول قدوم للبرتغاليين لليابان بعامين فقط جاءت إلى مدينة هيجى Hiji (تقع الآن فى محافظة أويتا) سفينة صينية من نوع الجنك Junk وكانت تحمل ستة أو سبعة من التجار البرتغاليين، وعندئذ نصح مرشد الملاحة الصينية حاكم المدينة وكان يدعى أوتومو يوشى كانى Ōtomo Yoshikane بقتل التجار البرتغاليين وسلب بضائعهم، ولكن ابن هذا الحاكم كان يدعى يوشى شيجى Youshi Shige نصح والده بألا يقوم بهذه الفعلة الدنيئة، فأنقذ بذلك أرواح التجار البرتغاليين.

على أية حال فقد وصل زافيير وصحبه البرتغاليين إلى كاجوشيما فى يوليو ١٥٤٩م وكانوا جميعا لا يتحدثون اليابانية، فكان عليهم أن يستعينوا بالشاب اليابانى ياجيرو من أجل الترجمة بينهم وبين سكان الجزيرة، وكان المترجم يستعين بمصطلحات وكلمات بوذية عند ترجمته لكلمات تتعلق بالمسيحية، وبذلك اعتقد الأهالى اليابانيون أن

المسيحية ما هى إلا فرع من فروع البوذية، وعليه لم يلق التبشير بها فى كاجوشيما نجاحا كبيرا كما كان يتوقع زافيير وصحبه، كذلك كان لمعارضة الرهبان البوذيين أثره فى عدم تحقيق نجاح أكيد للتبشير بالمسيحية، حدث هذا الفشل الجزئى برغم ترحيب حاكم المدينة وكان يدعى شيما زو تاكاهيسا Shimazu Takahisa (١٥١٤م - ١٥٧١م) بزافيير وإعطائه التصريح بالتبشير، وكان هدف هذا الحاكم هو الاستفادة التى سوف تأتى عن طريق التجارة مع البرتغاليين داخل مقاطعته، ولم يجد زافيير أمامه سوى أن يترك كاجوشيما بعد أقل من عام ولم يستطع أن يجتذب إلى المسيحية سوى مائة شخص فقط، وانطلق إلى أماكن أخرى فى كيوشو الشمالية وهى على التوالى هيرادو، هاكاتا، شيمابارا، أومورا، فوناى (محافظة أوتيا) وخلال هذه الجولة فى تلك المدن ذهب أيضا إلى مقاطعة ياماجوتشى، وخلال هذه الرحلة التبشيرية كان على زافيير أن يحصل على موافقة الدايموات لنشاطه التبشيرى، وكانوا بالفعل يعطونه هذه الموافقة بل كانوا يتعاونون معه ويحمونه هو وصحبه من المبشرين، وكذلك اليابانيين الذين اعتنقوا المسيحية، بل أكثر من ذلك فقد تعمد بعض الدايموات معتنقين المسيحية وهؤلاء ما يسمون فى التاريخ اليابانى بالدايموات المسيحيين، ومن أشهرهم هاريما نوباهارو Harima Nobuharu (١٥٦٧م - ١٦١٢م) وقد اتخذ اسم لوفاجيو ثم جوان، وحاكم مدينة أومورا فى هيزن Hizen (جزء منها فى ساجا والآخر فى ناجاساكى) أومورا سوميتادا Ōmurara Sumitada (١٥٣٣م - ١٥٨٧م) والذى اتخذ اسما مسيحيا هو دون بالتورومیو. وكذلك الدايميو أوتومو صورين Ōtomo Sōirin (١٥٣٠م - ١٥٨٧م)،

وهؤلاء الثلاثة قاموا بالتعاون مع أحد أعضاء مجموعة اليسوعيين الأوائل وهو فاليجنانو ألكسندر (١٥٣٩م - ١٦٠٦م) فى إرسال بعثة من شباب المسيحيين الصغار إلى روما لمقابلة البابا جيريجورى الثالث عشر، وذلك فى بداية عام ١٥٨٢م ثم عادت هذه البعثة إلى اليابان فى عام ١٥٩٠م. كذلك كان هناك عدد من الدايموات استخدموا الطباعة بالحروف الرومانية وهم أوتومو يوشى شيجى (صورين) الذى ذكرناه للتو، وكورودا يوشيتاكا (١٥٤٦م -١٦٠٤م) وابنه ناجاماسا (١٥٦٨م - ١٩٢٣م). واشتهرت أيضا من بنات المحاربين العظماء فى اعتناقها الشديد للمسيحية السيدة هوسوكاوا جاراشيا (١٥٦٣م - ١٦٠٠م) وكانت زوجة للمحارب هوسوكاوا تادا أوكى Hosokawa Tadaoki (١٥٦٣م- ١٦٤٥م) الذى كان مساعدا لزعيم الوحدة اليابانية أودا نوبوناجا، وابنة للمحارب أكيتشى ميتسوهيدى والذى قام باغتيال نوبوناجا، ولكنها عارضت أبيها فى تلك الفعلة الشنيعة.

وهكذا نجد أن المسيحية لم تجتذب فقط قلوب البسطاء من الفلاحين وعامة الشعب من اليابانيين الذين وجدوا فيها الملاذ من التفرقة بين الطبقات بعضها البعض، ولكنها اجتذبت أيضا العديد من كبار القوم ونبلائهم. وكذلك فقد كان على المبشرين أن تكون فى جعبتهم مختلف المعارف الخاصة بالحضارة الأوربية الحديثة والمتطورة آنذاك، واستطاعوا أن يوظفوا هذه المعارف سواء طبية أو اجتماعية أو اقتصادية من أجل خدمة فقراء اليابان فاستطاعوا بذلك جذب المئات منهم إلى المسيحية. فمثلاً كان المبشر إذا طُلب منه شفاء مريض فإنه يستخدم الأدوية التى أحضرها معه من أوربا ويطلب من المريض أن يتناول الدواء مع ذكر

اسم المسيح، وبالفعل يكون للدواء فاعلية تشفى المريض فيجد المريض اليابانى أنه دعى للآلهة اليابانية سواء كانت بوذية أو شنتوية فلم يجد استجابة ولكنه عندما تناول الدواء من المبشر مع الدعاء لإله المسيحية فوجد استجابة وعليه ينجذب قلبه نحو المسيحية.

على أية حال كانت المحطة التالية لكاجوشيما هى ميناء هيرادو Hirado وفى هيرادو قابل زافيير حاكمها ماتسورا تاكانوبو Matsura Takanobu الذى رحب بزافيير ترحيبًا كبيرًا وأعطاه تصريحًا بالتبشير، ولكن كان هدف تاكانوبو الحقيقى هو استغلال زافيير من أجل الحصول على مزايا تجارية، تماما كما كان يهدف دايميو كاجوشيما شيمازو تاكاهيسا، أى أنه عن طريق زافيير يستطيع الحصول على البضائع التى يتاجر بها البرتغاليون مثل البارود والبنادق والأدوية والحديد والرصاص والبهارات وغيرها من البضائع التى يمكنه عن طريقها تحقيق مكاسب طائلة.

وبعد أن طاف زافيير عدة مدن أخرى ولم يحقق النجاح الذى كان يتوقعه فقد نصحه أتباعه من اليابانيين أنه إذا أراد أن يبشر بالمسيحية فى كل أنحاء اليابان فإن عليه الذهاب إلى حيث يقطن ملك اليابان أو بالأحرى الإمبراطور اليابانى وكذلك القائد العسكرى أو الشوجون فى كيوطو عاصمة البلاد آنذاك، ولكنه عندما وصل كيوطو أصيب بالإحباط فقد وجدها محطمة بسبب ثورة أونين التى عمت مدينة كيوطو بل إنها كانت مركزا لها لمدة أحد عشر عاما لدرجة أن قصرى الميكادو والشوجون كانا آنذاك لا يزالان فى حالة تحطم، وإلى جانب ذلك فإن نفوذ الإمبراطور والشوجون لم يكن يشمل كل أنحاء

البلاد، وهكذا لم يكن أمام زافيير إلا التوجه إلى مدينة ياماجوتشى والتى كان يطلق عليها كيوطو الغربية لما كان لها من أهمية، وفى ياماجوتشى قابل الدايميو أوأوتشى يوشى تاكا Ōuchi Yoshitaka (١٥٠٧م – ١٥٥١م). وفى المقابلة أهدى زافيير مختلف الهدايا التى كان ينوى إهدائها للإمبراطور. وكانت هذه الهدايا عبارة عن بندقية ونظارة وساعة بالأرغول وخمر العنب وإناء من الزجاج وسجادة، وكلها كانت تمثل هدايا نادرة وعظيمة بالنسبة للدايميو. وفى مقابل هذه الهدايا الثمينة أعطى يوشى تاكا لزافيير معبدًا قام الأخير بإصلاحه ومارس فيه التبشير لمدة ستة أشهر تحت حماية الدايميو.

بعد ذلك توجه زافيير إلى بونجو Bungo (محافظة أويتا) وقابل الدايميو أونومو يوشى شيجى (صورين) والذى تحدثنا عنه آنفًا فى معرض حديثنا عن الديميوات المسيحيين، وقد توسم زافيير خيرا فى هذا الدايميو، وصرح له بأنه أفضل صديق قابله فى اليابان وطلب منه أن يرعى المسيحية فى اليابان، وهذا ما حدث بالفعل ولم يخيب يوشى شيجى أمل زافيير به، ثم غادر زافيير اليابان فى عام ١٥٥١م متوجها نحو الصين، ولم يلبث أن أصابه المرض ثم توفى بالحمى فى عام ١٥٥٢م فى مقاطعة كانتون الصينية.

وهكذا قضى زافيير فى اليابان عاما وثلاثة أشهر بذل خلالها مجهودا مضنيا من أجل نشر الديانة المسيحية، واستطاع أن يدخل حوالى ألف يابانى فى ديانته.

وبعد رحيل زافيير عن اليابان زار اليابان العديد من المبشرين اليسوعيين، وكان عدد المبشرين فى عام ١٥٦٠م ستة فقط، ثم ارتفع إلى عشرين مبشرًا فى عام ١٥٧٠م. وعلى الرغم من المصاعب التى واجهها

المبشـرون إلا أن أحـدا منهـم لم يُقتل أو يؤذى علـى الرغم من أن تلك الفـترة التى تواجـدوا فيها باليـابان كانت الحـروب الأهلية تدور على أشـدها فى كل مكان تقريبا، وقد وجد المبشـرون فى أماكن مثل كيوشو تشجيعا لا بأس به وترحيبا من الدايموات بتلك المنطقة، ولكنهم وجدوا فـى أماكن أخرى مثـل كيوطو صدودا وانزعاجا من نشـاطهم. فها هو القس جاسـبار بيررا يذهب إلى كيوطو فى عام ١٥٥٩م مصطحبا اثنين من اليابانيين وأحدهم يشـبه عازفى البيوا (آلة موسيقية تشبه الربابة) ذى وجه قبيح، وقام جاسـبار باسـتئجار مكان صغير أقام به قاعة كنسـية بدأ منها التبشـير. ولكن منذ البداية تلقى هذا القس تهكمات وشـتائم أهل كيوطو وكانوا يقولون عنه «هذا الأجنبى له هيئة الإنسان ولكنه فى الحقيقة شـيطان وساحر فى ذات الوقت». وأشاعوا عنه أنه يأكل لحوم البشر وأن عظام وهياكل من يأكلهم تملأ بيته بل إنهم ظنوا أن أى مكان يذهب إليه المبشـرون تحدث به الفتن والقلاقـل وكذلك فإن أى مكان يزوره فإن العشـب والأشجار تجف وتموت به، كذلك اعتقد الكثير من اليابانيين أن المسيحية ديانة تعارض أخلاق ونظم المجتمع، ولذلك فهى ديانة غير سليمة. ولكن برغم وجود هؤلاء الذين يعادون المسيحية، فقد كان هنـاك أيضـا من يعتقدون أن هؤلاء الأجانب من المبشـرين يملكون طاقة خارقة ويمكن لمن يؤمن بهم أن يتخلص من جميع الآلام والعذابات التى يعانى منها.

على أية حال كانت هذه هى مشـاعر الكثير من عامة الناس فى كيوطو إلا أنـه على المسـتوى الرسمى نجد أن الوضـع كان مختلفا إلى حد كبير، فقط اسـتقبل حاكم كيوطو العسكرى أشيكاجا يوشى ترو Ashikaga Yosh

(١٥٣٦م – ١٥٦٥م) كاسبار بيررا فى بداية عام ١٥٦٠م ورحب به وأصدر أوامره بألا تتعرض كنيسته للعنف وألا يفرض عليها ضرائب غير عادلة، وكذلك ألا يعسكر جنود الشوجونية بالقرب من الكنيسة، وبسبب هذا الأمان وتلك التسهيلات التى تمتع بهما كاسبار بيررا وتابعيه من المبشرين ازداد عدد المؤمنين بالمسيحية ازديادا سريعا، وكذلك فقد امتد النشاط التبشيرى إلى البلاد القريبة من كيوطو مثل سانجا ونارا وغيرهما من المدن وانتشر بها الإيمان بالمسيحية.

ومع زيادة عدد المؤمنين بالمسيحية فى كيوطو وما حولها من مدن كان على كاسبار أن يزيد من عدد المبشرين، فاستدعى عددا منهم من مناطق أخرى ليعاونوه فى عملية التبشير وتعليم المؤمنين من اليابانيين الجدد مبادئ وتعاليم المسيحية، ومن أشهر هؤلاء جاء من مقاطعة بونجو (محافظة أويتا الحالية) المبشر لويس فوريس Luis Frois (١٥٣٢م – ١٥٩٧م) وذلك فى يوليو ١٥٦٤م، وقام بمقابلة الشوجون يوشى ترو بمصاحبة كاسبار بيررا. ولكن فى عام ١٥٦٥م تم اغتيال هذا الشوجون المتعاون مع المبشرين على يد المحارب ماتسوناجا هيساهيدى Matsunaga Hisahide (١٥١٠م – ١٥٧٧م) أو بالأحرى جعله ينتحر وبسبب هذا الحادث تغير حال الكنيسة فى كيوطو، فتلقت ضربات عنيفة. ومع سقوط كيوطو فى أعمال العنف اضطر القسان بيررا، ولويس إلى ترك كنيستهم وأتباعهم المسيحيين، فعاد لويس إلى بونجو وبقى كسبار فى سكاى، وظل لويس ينتظر العودة إلى كيوطو على أحر من الجمر حتى تحقق هذا الأمل عندما دخل زعيم التوحيد أودا نوبوناجا إلى كيوطو فى عام ١٥٦٨م. واستطاع لويس فوريس مقابلة نوبوناجا. وفى

هــذه المقابلة طلب لويس من نوبوناجا إعطــاءه تصريحًا بالعيش بحرية فى كيوطو، وكذلك إعطاءه فرصة محاورة رهبان معبد هيزن الشــهير بما يدلنا على مدى فاعلية النشاط الدينى والمجادلات بين قساوسة ورهبان الأديان المختلفة فى هذا الوقت المبكر من القرن السادس عشر.

هكذا وبفضل جهود المبشــرين المخلصة من أجل نشــر المســيحية، أو بسبب التناقضات التى كان يعيشها اليابانيون آنذاك من تفاوت كبير بين مختلف طبقات المجتمع اليابانى وصل عدد المؤمنين بالمسيحية فى نهاية القرن الســادس عشــر إلى ما يقرب من مائة ألف شخص. وكانت للتجــارة وأرباحها أثرها فى زيادة عدد المســيحيين فى كيوشــو وذلك لتشجيع دايميوات هذه المنطقة وحمايتهم للتبشير لدرجة أن عددًا منهم تعمد وأرسل البعثات المسيحية للبابا فى روما لأجل إعلامه بمدى النشاط التبشيرى فى اليابان وفاعليته.

وقد تراوحت معاملة المســيحيين من قبل الســلطات اليابانية خلال فترة أزوتشى موموبا – عهدى نوبوناجا وطويوطومى – بين اللين الزائد والشدة الزائدة. ثم جاء حظر ومنع الإيمان بالمسيحية بعد ذلك فى عهد إيدو، وهو العصر الذى أسسه طوكو جاوا إييأسو. وهذا ما سوف نتعرف إليه فيما يلى من أحداث.

* * *